

فقد مهّد الطريق أمام وعي لغوي أدبي جديد ، ومهّد الطريق أيضاً أمام الرواية العظيمة في عصر الانبعاث الأوروبي .

ان « عشاء سيريان » نموذج عظيم « Parodia Sacra » في القرون الوسطى أي « للمحاكاة الساخرة المقدسة » وبعبير أدق لمحاكاة النصوص والطقوس المقدسة محاكاة ساخرة ، وهو أقدم هذه النماذج. إن الجذور العميقة لهذه المحاكاة تمتد إلى المحاكاة الطقسية الساخرة القديمة ، إلى الهزء الطقسي من القوة العليا والخطّ منها لكن هذه الجذور بعيدة ، فالعنصر الطقسي القديم قد تغير مدلوله وأخذت المحاكاة الساخرة تؤدي الآن وظائف جديدة وجوهرية تكلمنا عليها قبل قليل .

يجب علينا أولاً التنويه بالحرية المعترف بها والمشروعة التي كانت للمحاكاة الساخرة . فالقرون الوسطى كانت تحترم ، مع تحفظات قليلة أو كثيرة ، حرية طائفة المهرّج وكانت تمنح الضحك وكامة الإضحاح حقوناً واحة . وكانت هذه الحرية مقصورة على أيام الأعياد والعطل الرسمية في الدرجة الأولى . ان ضحك الدرون الوسطى هو ضحك اعياد . و « عيد الحمقى » و « عيد الحمار » المحاكيان محاكاة ساخرة والتنكريان اللذان كانت الاوساط الدنيا من رجال الاكليروس تحييها في الكنائس نفسها معروفان . ومما له دلالة أيضاً « RisusPaschalis أي « ضحك الفصح » . فقد كانت التقاليد تسمح بالضحك في الكنيسة أيام عيد الفصح . كان الواعظ يسمح لنفسه أن يروي من فوق منبر الكنيسة مزحاً غير رصينة ونكات مرحة كي يثير ضحك أبناء رعيته ، وكان هذا الضحك يعتبر إنعاشاً مرحاً لنفوسهم بعد أيام الانقباض والصوم . وينصل بهذا « الضحك الفصحي » اتصالاً مباشراً أو غير مباشر كثير